الذي أخذ به علماء البلاغة من بعده ، وهو الذي استقرّت عليه هذه العلوم إلى يومنا الحاضر . فإذا عرفنا أنّ السكاكي كان متأثراً بثقافته النحوية والمنطقية والكلامية ، وعرفنا أنه صبغ البلاغة في كتابه بصبغة هذه العلوم ، عرفنا سبب طغيان القوالب والحدود على علوم البلاغة ؛ وعرفنا سبب التعقيد الذي أصابها عنده وعند من قلّده وحذا حذوه . وحسبك أن تقرأ ما كتبه السكاكي عن التشبيه وأنواعه وأقسامه — وهو موضوع يتصل بالصورة الأدبية وسرّ جمالها — لترى مدى تمسّك السكاكي بالحدود والتعريفات ، وترى مدى حبّه للتقسيم والتفريع ، بل لترى المدى الذي وصلت إليه البلاغة في جفافها وبعدها عن التحليل الذوقي والجمالي .

ولم يكن العلماء الذين جاؤوا بعد السكاكي أقلّ منا شعوراً بما في كتابه من تعقيد ، لذلك فقد بادروا إليه يشرحونه ويوضحون ما استغلق منه ، إلا أن هؤلاء العلماء كانوا متأثرين بأصل الكتاب وبمنهج صاحبه ، كما كان كل منهم متأثراً بثقافته الخاصة وطبيعتها ، فكان منهم الفقيه ، ومنهم المتكلم . ومنهم النحوي ، وقد ظهر أثر ذلك كله في شروحهم وتعليقاتهم . وبقي (مفتاح العلوم) محوراً للتأليف